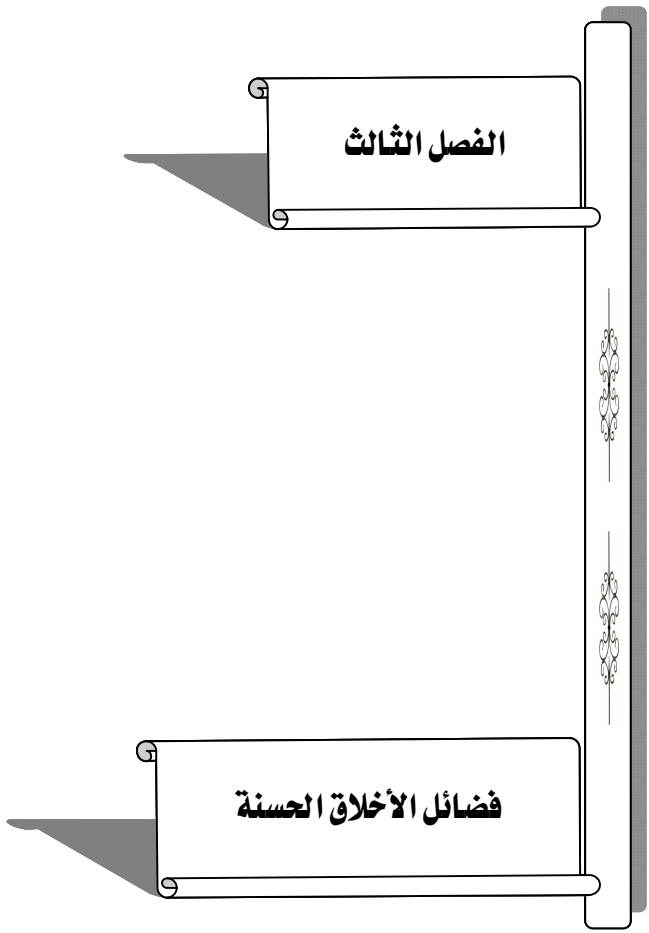
الفصل الثالث
فضائل الأخلاق الحسنة

# فضائل الأخلاق الحسنة

## مكانة المؤمن حسن الخلق

لم يبشَّر النبي ﷺ المؤمن حسن الخلق بدخول الجنة فحسب بل بمكانة عالية فيها فقال ﷺ : " أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ ، وببيتٍ في وسط الجنَّةِ ، وببيتٍ في أعلى الجنَّةِ ، لمن ترك المراءَ وإن كان مُحِقًّا ، وترَك الكذبَ وإن كان مازحًا ، وحَسُنَ خُلُقُه " [ حسنه الألباني].

وعندما سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: تقوى الله وحسن الخلق، وعن أكثر ما يدخل النار ذكر سوء الخلق الناتج عن الفم كالكذب والغيبة والنميمة والبهاتان ... والخلق السيئ الناتج عن الفَرْج وهو الزنا . فعن أبي هريرة : " سُئِلَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ ؟ تقوى اللهِ وحسنُ الخُلقِ وسُئِل عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ ؟ فقال الفمُ والفرجُ . " [ حسنه الألباني ] .

وحسن الخلق ليس سبباً في محبة الله ورسوله فحسب بل محبة الناس جميعاً : وقد ذكر الله تعالى محبته لمن يتخلق بالأخلاق الحسنة، والتي منها الصبر والإحسان والعدل وغير ذلك، فقد قال الله تعالى : ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [ لبقرة: ١٩٥] .

وقال تعالى : ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين﴾ [المائدة: ٤٢]

عن أسامة بن شريك قال : " كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤوسِنَا الطَّيرُ مَا يَتَكَلَّم منا مُتكلِّمٌ إذ جاءه أناسٌ فقالوا من أَحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ تعالى قال أَحسنُهم خُلُقًا " [ صححه المنذري ] .

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا ، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ ؟ قالَ : المتكَبِّرونَ " [ صحيح الترمذي ] .

ومن أحبه الله تعالى حبب جميع المخلقات فيه يقول النبي " إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ : إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ فُلاناً ، فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ ، فَيُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ : إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً ، فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ " [ متفق عليه ] .

## مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة :

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله : " ما مِن شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخلقِ ، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليبلُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلاةِ " [صحيح الترمذي] .

## الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب:

عن عائشة أم المؤمنين قال قال رسول الله : " إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ قائمِ الليلِ، وصائمِ النهارِ. " [ صححه الألباني ] .

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ المُسْلِمَ المُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَّامِ القَوَّامِ بِآياتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لِكَرَمِ ضَرِيبَتِه ، وحُسْنِ خُلُقِهِ " [صحيح أحمد] .

## الأخلاق الحسنة من خير أعمال العباد

عن أنس بن مالك قال : " لَقِي رسولُ اللهِ ﷺ أبا ذرٍّ فقال يا أبا ذرٍّ ألا أدلُّك على خَصلتَيْن هما أخفُّ على الظَّهرِ وأثقلُ على الميزانِ من غيرِهما قال بلى يا رسولَ اللهِ قال عليك بحُسنِ الخُلقِ وطولِ الصَّمتِ فوالَّذي نفسي بيدِه ما عمل الخلائقُ بمثلِهما " [إسناده جيد ورواته ثقات]

## الأخلاق الحسنة تزيد في الأعمار وتعمّر الديار:

عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله " إنه من أُعطِيَ حظَّه من الرِّفقِ فقد أُعطِيَ حظَّه من خيرِ الدنيا والآخرةِ وحسنُ الخُلُقِ وحسنُ الجوارِ يعمرانِ الدِّيارَ ويزيدانِ في الأعمارِ ومن حُرِمَ حظَّه من الرِّفقِ حُرِمَ حظَّه من خيري الدُّنيا والآخرة " [ قال الألباني إسناده لا بأس به ].

## الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : " أكمَلُ المؤمنين إيمانًا أحسَنُهم خُلقًا ، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم " [ صحيح الترمذي ] .

عن جابر بن عبد الله قال : " قيل يا رسولَ اللهِ أيُّ الإيمانِ أفضلُ ؟ قال : الصبرُ والسماحةُ ، قيل فأيُّ المؤمنين أكملُ إيمانًا ؟ قال : أحسنُهم خُلُقًا " [ قال الألباني رجاله ثقات ] .

## مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا احتمالاً أنه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى؛ فإنَّه لابد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل تقدير. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار.

ولله دَرُّ أحمد شوقي القائل :

وإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ * فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

من الممكن أن تتخيل مجتمعًا من المجتمعات انعدمت فيه مكارم الأخلاق كيف يكون هذا المجتمع؟!

كيف تكون الثقة بالعلوم، والمعارف، والأخبار، وضمان الحقوق لولا فضيلة الصدق؟!

كيف يكون التعايش بين الناس في أمن واستقرار، وكيف يكون التعاون بينهم في العمل ضمن بيئة مشتركة، لولا فضيلة الأمانة؟

كيف تكون أمة قادرة على إنشاء حضارة مثلى لولا فضائل التآخي، والتعاون، والمحبة، والإيثار؟

كيف تكون جماعة مؤهلة لبناء مجد عظيم لولا فضيلة الشَّجَاعَة في ردِّ عدوان المعتدين وظلم الظالمين، ولولا فضائل العدل والرحمة والإحسان والدفع بالتي هي أحسن؟!

كيف يكون الإنسان مؤهلًا لارتقاء مراتب الكمال الإنساني إذا كانت أنانيته مسيطرة عليه، صارفة له عن كلِّ عطاء وتضحية وإيثار؟ لقد دلَّت التجارب الإنسانية، والأحداث التاريخية، أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه، وأنَّ انهيار القوى المعنوية للأم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائمًا، صاعدين وهابطين.

وذلك لأنَّ الأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثل العقود الثابتة التي تعقد بها الروابط الاجتماعية، ومتى انعدمت هذه العقود أو انكسرت في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكانًا تتعقد عليه، ومتى فقدت الروابط الاجتماعية صارت الملايين في الأمة المنحلة عن بعضها مزودة بقوة الأفراد فقط، لا بقوة الجماعة، بل ربما كانت القوى المبعثرة فيها بأسًا فيما بينها، مضافًا إلى قوة عدوها.

وإذا كانت الأخلاق في أفراد الأمم تمثل عقود الترابط فيما بينهم، فإن النظم الإسلامية الاجتماعية تمثل الأربطة التي تشدُّ العقود إلى العقود، فتكون الكتلة البشرية المتماسكة القوية، التي لا تهون ولا تستخذي . [1]

***

(١) موسوعة الأخلاق مؤسسة الدرر السنية ١٤٣٦ هـ